هل العالم الجديد مهد العمران ؟

وهل حضارة المايا اقدم من حضارة مصر ؟

هل قارتا اميركا الشمالية والجنوبية والبلاد التي تصل بينهما وتعرف باميركا المتوسطة والعالم الجديد على ما يقول الجغرافيون — هل هما لدى التحقيق العالم القديم حيث نشأ الانسان اولاً ونشأ حضارة امتدت آثارها فيما بعدُ الى انحاء المعمور ؟

لقد كشف البحث في الشهور الاخيرة عن اربعة مكتشفات اثرية خطيرة ايدت الرأي القائل بان الانسان وصل الى هاتين القارتين وهو لا يزال على حالته الفطرية الاولى الوفاً من السنين قبل زمن التاريخ المدوّن ان لم يكن قد نشأ فيهما اولاً ومنها انتشر في اقطار الارض

فقد عثر الباحثون الاثريون ببلدة فيرو من اعمال ولاية فلوريدا الاميركية على عظام بشرية واسلحة وادوات في طبقة من الارض قديمة جداً كما يدلُّ على ذلك ما وُجد فيها من عظام حيوان الماموث الذي انقرضت آثارهُ منذ آلاف السنين. ووجد جمهور آخر من الباحثين في ولايات كولورادو وتكساس ونيومكسيكو رؤوس سهام اتقن صنعاً من رؤوس السهام التي كان الهنود الحمر يستعملونها حين وصول البيض الى اميركا . وقد كانت هذه الرؤوس مع عظام نوع من الجاموس انقرض منذ زمن بعيد. ثم عثرت جماعة اخرى في بلدة فردريك من ولاية اوكلاهوما على رؤوس سهام وخس قطع من الحجر كانت تستعمل لطحن الحنطة وصنع الدقيق منها وكان فوق هذه الآثار طبقة تحتوي على بقايا حيوانات الماموث المنقرضة . وقد شاهد الدكتور هروك كوك الامين الفخري لمتحف الآثار المتحجرة بكولورادو هذه الآثار قبل اخراجها من الارض التي وجدت فيها فقال انهُ لا يرتاب مطلقاً في ان هذه الآثار البشرية معاصرة للحيوانات المنقرضة التي وجدت مع بقاياها . فلما نظر العلماء في مدلول هذه المكتشفات الاربعة اثارت فيهم من جديد الرغبة في البحث عن اصول حضارة المايا في اميركا المتوسطة وحضارة الانكس في اميركا الجنوبية. ويعتقد الدكتور جرجوري مايسن مدير احدى البعثات الاميركية التي تنقب في اميركا المتوسطة كما يعتقد غيرهُ من المطلعين على الآثار التي وجدت هناك ان حضارة اميركا القديمة قديمة كحضارة مصر او اقدم منها وانها تفوقها من وجوه كثيرة

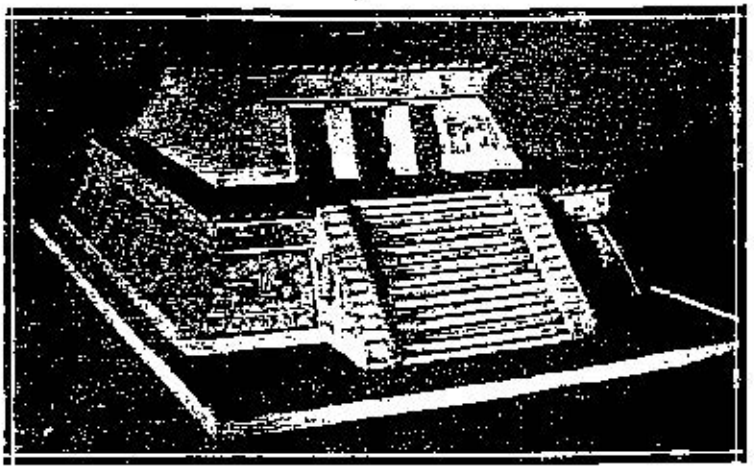

مثال مصغّر لاحد هياكل المايا

هيكل قديم من هياكل المايا كشف في حرج كثيف طغت
عليه اشجاره واعيد ترميمه على ما ترى والاعمدة امامهُ
كانت تستعمل لحمل سقف الفناء الخارجي

مقتطف نوفمبر ١٩٢٨

امام الصفحة ٣١٢

ان معارف المصريين القدماء الرياضية والفلكية مضرب المثل. ولكن البحث الحديث في اميركا المتوسطة اثبت ان شعوب المايا كانوا يفوقون المصريين في المعارف الرياضية والفلكية فهم الذين استنبطوا الصفر الذي جعل طريقة الحساب العشري الحديثة في حيز المستطاع. وهذا مكنهم من ان يحسبوا حسابات رياضية دقيقة ويرتقوا بها الى اعلى الدرجات . فسبقوا الهنود الى ذلك بنحو الف سنة

وقد ثبت من بعض كتبهم التي لم يتلفها الاسبان حين تدويخهم تلك البلاد في القرن الخامس عشر والتي يرجع تاريخها الى سنة ١٧٦ ب . م ان علماء الفلك في شعب المايا كانوا يفوقون معاصريهم من الرومان

ولا يخفى ان أساس التقويم هو معرفة طول السنة الشمسية معرفة مدققة . ولما كانت السنة الشمسية تألف من ٣٦٥،٢٤٢٢ من اليوم أو ٢٩،٥٣ من الشهور القمرية فمن المتعذر قسمة دورة الارض حول الشمس أو دورة القمر حول الارض في دورانهما حول الشمس الى اقسام متساوية. فجاءت السنة في التقويم اليوليوسي الذي بقي مستعملاً في اوربا حتى سنة ١٥٨٢ وفي روسيا الى بضع سنوات خلت أمتا عشرة دقيقة أطول مما يجب ان تكون. ولما غيرت روسيا التقويم اليوليوسي واستبدلته بالتقويم الغريغوري كان هذا الفرق قد اصبح نحو اسبوعين

ولكن علماء المايا كانوا قد حسبوا طول السنة قبل ذلك بألفي سنة فجاء حسابهم دقيقاً جداً لا يخطىء الا يوماً واحداً في كل ٢١٤٨ سنة يقابل ذلك في تقويمنا الحاضر خطأ يوم واحد كل ٣٣٢٣ سنة

ولم يقف علماؤهم عند ذلك بل قاسوا بدقة غريبة دوران الزهرة حول الشمس والمرجح انهم قاسوا كذلك دوران المريخ ومن المحتمل أنهم قاسوا دوران المشتري وزحل وعطارد وبنوا على دوران الزهرة حول الشمس تقويماً كان يستعمل لتصحيح ما قد يقع من الخطإ في التقويمين الشمسي والمشتري وكانوا يعلمون ان ثماني سنين شمسية تعدل خمس سنين من سني الزهرة وان ٦٥ سنة من سني الزهرة تعدل ١٠٤ سنين شمسية وقد وجد في بعض التقاويم المنقوشة على الصخور حسابات عدد الى ٣٤١٥٦ سنة وكان تقويمهم يشتمل على ايام وشهور كل شهر منها عشرون يوماً وكان يدعى « وينال » وعلى سنين كل سنة ٣٦٠ يوماً وتدعى « تُن » وعلى عقود كل عقد منها عشرون سنة ويدعى « كاتون » وعلى عصور كل عصر منه ٤٠٠ سنة ويدعى « باكتون »

واذا صرفنا النظر عن تفوقهم العقلي على ما هو ظاهر في معارفهم الفلكية والرياضية رأينا انهم بنوا اهرامات تساوي اهرامات مصر في ضخامتها أو تفوقها . وكان نقشهم للاحجار وصقلهم لها من أعلى مرتبة بلغها صناع العالم القديم وامتازوا بالتصوير وصياغة المعادن وتنزيلها بالحجارة الثمينة وفاقوا في بعضها رجال الفن المصريين

وكانت اكثر مبانيهم من الحجر بلغوا فيها من الاتقان ودقة الصنع اعلى ما بلغهُ البناؤون في مصر واليونان وروميه . ولكنهم لم يوفقوا الى اكتشاف المبدإ الذي تبنى به القناطر فنعهم ذلك من الارتفاع ببنائهم الى اكثر من طبقتين . اما البرج المبني من أربع طبقات الذي وجد في بالانك بجنوب المكسيك فخروج على القاعدة ولا يقاس عليه

واشتهرت دولة المايا التي نشأت في غواتيمالا بالنقش في الحجر اكثر من اشتهارها بفن البناء . واما الدولة التي خلفتها في يوكاتان وازدهرت بين القرن العاشر والقرن الخامس عشر للميلاد — قبيل احتلال الاسبان للبلاد — فامتاز البناؤون فيها على النقاشين

وتاريخ هذه الدولة الجديدة مدوّن في كتب كثيرة من كتب المايا تدعى كتب شيلام بلام وزُعت ونُشرت بعد ما اتلف الاسبان اكثر مدوّنات كهنة المايا. ولكن المؤرخ الذي يعنى بتاريخ الحضارات الاميركية القديمة لا تهمه هذه الكتب بقدر ما تهمهُ الكتابات المنقوشة في الصخور في ايام الدولة القديمة . ففي غابات غواتيمالا لا تزال آثار فلكي المايا ماثلة للعيان لانها منقوشة في الصخر . والظاهر ان هؤلاء الفلكيين كانوا يقيمون كل سنة خامسة شاهداً حجريًّا ليكون جزءًا من تقويم او تاريخ عام . والمرجح ان سبع عشرة مدينة على الاقل كانت مزدهرة في غواتيمالا حينما بلغت دولة المايا الاولى ذروة مجدها نحو سنة ٥٢٠ ب.م وفي ذلك العصر كانت حضارتها من طبقة أرقى الحضارات المزدهرة حول البحر المتوسط حينئذٍ وتفوق من بعض وجوهها أرقى ما بلغتهُ الشعوب التوتونية في اوربا الشمالية في ذلك العصر

اما كيف انحطت دولة المايا وغادر الشعب مدنهُ الزاهرة تنعق فيها البوم والغربان فلا يزال سرًّا مكتوماً حتى الآن . ويسند بعض العلماء ذلك الى تفشي الحمى الصفراء بينهم ويقول آخرون ان حرباً اهلية طاحنة نشبت بين طوائفهم بادوا فيها ويقول آخرون ان تغييراً فجائيًّا في الطقس والتربة جعل الحصول على مقدار كاف من الطعام متعذراً . وما حدث في القرون الثلاثة التي تلت خراب هذه الدولة واضمحلالها وسبقت ظهور الدولة الجديدة في يوكاتان سرٌّ آخر لا بدَّ ان يكشف عنهُ البحث

رأس حجري منقوش في جدار
هيكل بيوكاتان . ويكاد يكون ناطقاً على قدمه

تمثال آدمي على مذبح هيكل في
بلدة پالانك بيوكاتان (أميركا الوسطى)

مقتطف نوفمبر ١٩٢٨

أمام الصفحة ٣١٤